سوسيولوجيا المعرفة عند اميل دركهايم

أ.م.د. ناظم جواد كاظم
جامعة بابل/ كلية الاداب
Nathim.kadhim55@gmail.com

الخلاصة

تعد المعرفة مجالاً خصباً للدراسة والبحث في الفلسفة والعلوم الانسانية بشكل عام وعلم الاجتماع بشكل خاص، وإذا كانت بداية الاهتمام بها من الفلسفة، حيث كانت نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) التي تعني البحث في طبيعة المعرفة، وأصلها، وقيمتها، ووسائلها، وحدودها، ومعنى ذلك إن نظرية المعرفة هي البحث في المشكلات الفلسفية الناشئة من العلاقة بين الذات والموضوع المدرك، أو بين العارف والمعروف إلا إن نشأة علم الاجتماع في منتصف القرن التاسع عشر قد قطعت الصلة بين الفلسفة وعلم الاجتماع، فبدلاً من أن ينظر للعلاقة بين الذات والموضوع في دراسة المعرفة، فقد نظر إليها من خلال العلاقة بين المعرفة والمجتمع، فجاء تعريف سوسيولوجيا المعرفة بأنها ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يدرس العلاقة بين المعرفة والإطار الاجتماعي، أي إن المجتمع هو مصدر المعرفة ومبحث الحقيقة، ان مثل هذه النظرة افرزت ما يسمى "بالنزعة السوسيولوجية" التي تزعمتها المدرسة الفرنسية بزعامة العالم اميل دركهايم، الذي ذهب إلى ان المجتمع لا الفرد هو مصدر النظام وجميع المقولات المنطقية والمبادئ العقلية، وان جميع الوقائع الاجتماعية على انها اشياء، وهي أشياء موضوعية كما إنها أشياء اجتماعية، شأنها شأن الظواهر الطبيعية، وفي هذه النزعة اراد دركهايم ان يصبح "ديكارت" علم الاجتماع، ونظراً لأهمية الموضوع ودور اسهامات اميل دركهايم في ارساء واقعية سوسيولوجيا المعرفة، جاء اختياري للموضوع الذي تضمن خلاصة باللغتين العربية والانكليزية ثم مقدمة وتمهيد لعرض الموضوع البحث، وتحديد للمفاهيم والمصطلحات ذات العلاقة بموضوع البحث وهي المعرفة، ونظرية المعرفة، وسوسيولوجيا المعرفة، ثم تناولت موضوع من نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) إلى سوسيولوجيا المعرفة التي تعتمد إطاراً منهجياً لدراسة العلاقة بين المعرفة والواقع الاجتماعي، ثم إسهامات دركهايم في سوسيولوجيا المعرفة، كنظريته في نشأة الدين، وموضوع المقولات في اجتماعية المعرفة الدركهايمية مثل الزمان، والمكان، والسببية، والتصنيف، والعدد، ثم يأتي موضوع وظيفة المعرفة الاجتماعية عند دركهايم، وأخيراً الاستنتاجات والتوصيات.

الكلمات الدالة: المعرفة – نظرية المعرفة – سوسيولوجيا المعرفة – اميل دركهايم – المجتمع

Abstract

Conclusion Knowledge is a fertile field of study and research in philosophy, human sciences in general and sociology in particular, and if the beginning of interest in philosophy, where the epistemology, which means research in the nature of knowledge, and its origin This means that the theory of knowledge in researching the philosophical problems arising from the relationship between the subject and the perceived subject, or between the known and the known. However, the emergence of sociology in the mid-nineteenth century severed the link between philosophy and sociology, rather than looking at the relationship between subject and subject in the study of knowledge, it was viewed

through the relationship between knowledge and society, came the definition of sociology of knowledge as that branch of sociology Which examines the relationship between knowledge and social framework, that is, society is the source of knowledge and the subject of truth. All social realities are objects, which are objective as well as social, like natural phenomena. In this tendency, Drkheim wanted to become a "sociologist" Descartes, and given the importance of the subject and the role of Emile Derkheim's contributions to the realization of the sociology of knowledge. I selected a topic that included a summary in both Arabic and English, then an introduction and a prelude to the presentation of the research topic, and the definition of concepts and terms related to the subject of research, which is knowledge, the theory of knowledge and the sociology of knowledge. The psychology of knowledge, which adopts a methodological framework to study the relationship between knowledge and social reality, then Dorkheim's contributions to the sociology of knowledge such as his theory of the emergence of religion, and the subject of the categories in the social knowledge of the Gendarmerie such as time and place, causality, classification, and number, then comes the subject of social knowledge function when Darkheim, and finally conclusions And recommendations.

Keywords: Knowledge – Knowledge Theory – Sociology of Knowledge – Emile Durkheim – Society

١ – المقدمة

يعد مفهوم المعرفة الانسانية من المفاهيم المثيرة للجدل والاختلاف، لان المعرفة هي جوهر الحياة، وبناء الانسان وتنمية المجتمعات الانسانية، ان من اسباب هذا الاختلاف والجدل بشأن المعرفة نابعاً من تعدد الزوايا والمنظومات التي ينظر منها للبحث في طبيعة المعرفة واصولها ووسائلها، وحدودها، ان هذا المنظور الذي تعتمده نظرية المعرفة في الفلسفة اصبح غير قادر على سبر غور المعرفة من جميع جوانبها ومنها الاجتماعية، الا ان نشأة علم الاجتماع في منتصف القرن التاسع عشر في اوروبا قد مهد لبناء الاطر النظرية والمنهجية من خلال الفلسفة الوضعية لدراسة المجتمع دراسة علمية تسعى لبناء قوانين اجتماعية تشبه القوانين في العلوم الطبيعية، وهكذا مهدت الفلسفة الوضعية لنشأة فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة المعرفة الا وهو علم اجتماع المعرفة، وقد تبنت المدرسة الفرنسية هذا الاتجاه بممثلها العالم(اميل دركهايم) الذي يرى ان المجتمع لا الفرد هو مصدر المعرفة وبهذا رفض دركهايم نظرية المعرفة الفلسفية

التقليدية، باعتبار ان المعرفة ترتبط بالاساس الاجتماعي والثقافي، وانه المصدر الوحيد لها، ونظراً لاهمية الموضوع و دور اسهامات اميل دركهايم في ميدان سوسيولوجيا المعرفة جاء اختيار الموضوع كمشكلة بحث في ميدان علم اجتماع المعرفة. وقد تضمن الموضوع خلاصة باللغتين العربية والانكليزية ومقدمة وتمهيد يوضح مضامين الموضوع ثم تحديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالموضوع البحث وهي المعرفة، نظرية الممعرفة، سوسيولوجيا المعرفة، ثم اسهامات اميل دركاهيم في سوسيولوجيا المعرفة وهي الاصل الاجتماعي للدين وموضوع الاصل الاجتماعي للمقولات كمقولة الزمان والمكان، والسببيه، والتصنيف ، والعدد ثم الوظيفة الاجتماعية لعلم اجتماع المعرفة ثم الاستنتاجات والمقترحات.

٢. تمهيد

إن العلاقة بين علم الاجتماع والفلسفة هي علاقة بالغة القدم لأن أوائل المفكرين الذين وضعوا اللبنات الأولى لعلم الاجتماع كانوا أقرب إلى الفكر الفلسفي منهم إلى الفكر السوسيولوجي، وكما هو معروف إن علم الاجتماع هو آخر العلوم التي تفرعت عن الفلسفة [1, pp, 21] ، وقد امتدت هذه الفترة التي سبقت مرحلة انفصال السوسيولوجيا عن الفلسفة إلى فترات طويلة من أقدم العصور حتى نهاية العصور الوسطى، وهي الفترة التي كان التفكير الإنساني فيها يصيغ نظريات فلسفية تعبر عما ينبغي أن يكون، أي نظريات ليست قائمة على دراسة الواقع والنظم الموجودة فعلاً، بل نظريات تعبر عن رغبات أصحابها وما ينشدون الحقيقة [2, pp.5] وتعد هذه المرحلة بوابة الفكر الاجتماعي، لأن الانسان كائن يفكر أي أنه يتدبر، فهو لا يعيش ليومه إنما يمتد مثل هذا اليوم ليكون موصولاً بماضيه متصلاً بمستقبله [3, pp.13] وقد شهد تاريخ الفكر الانساني تحولاً بعد العصور الوسطى ومنذ بداية القرن السادس عشر، حين سميت هذه الفترة بعصر التنوير أو اليقظة الفكرية (الرينصانص) حيث شهدت هذه المرحلة بدايات الاتجاه العلمي الذي استمر بالنمو لمدة ثلاثة قرون أما أهم الأفكار التي روجتها هذه المرحلة هي أن العقل هو أبرز الخصائص المميزة للإنسان، وإن الطبيعة البشرية تتماثل لدى جميع الناس، أما التنوع السلوكي والفكري بين الجماعات الإنسانية فيرجع إلى الظروف المحلية والاختلافات التاريخية وتأثير الأعراف والعوامل التقليدية، وإن المؤسسات والنظم إنما أستحدثت للناس وليس العكس فقيمة المؤسسات أو جدواها تحدد بمدى فائدتها وخدمتها للناس وتطويرها للشخصية البشرية، إن التقدم يمثل قوة مركزية في المجتمع، وإن أسمى الأهداف الموجهة للنوع البشري هو تحقيق أو بلوغ الإنسانية المثلى، وهكذا فإن مفكري اليقظة الفكرية قد تطلعوا إلى تحرير العقل البشري والفكر الاجتماعي من عالم الخرافة والسحر، وإنه من خلال هذا الاتجاه أصبحت البشرية خصبة لانبعاث العلوم الاجتماعية كافة [1, pp.30-31] وهكذا مهدت هذه اليقظة الفكرية إلى نشأة الفلسفة الوضعية التي هي معرفة الظواهر التي تقوم على الوقائع التجريبية ولا سيما تلك التي يتيحها العلم، كما ينطوي المذهب على إنكار وجود معرفة نهائية، أي معرفة تتجاوز التجربة، ولا سيما فيما يتعلق بالعلل النهائية [4,pp.312].

فالوضعية حركة مضادة للميتافيزيقيا ومؤيدة للعلم وتحل النسبيات محل المطلقات والتأكيد على الملاحظة واعتماد المنهج العلمي لدراسة الظواهر وبناء قوانين علمية تحكم الظواهر الاجتماعية تشبه القوانين في العلوم الطبيعية [5, pp.3-14] وهكذا ازدهرت وانتعشت الفلسفة الوضعية على يد العالم أوكست كونت في الفكر الاجتماعي، لقد تبنى العالم دركهايم[*] الاتجاه الوصفي إلا أنه لا يعني ردد آراء اوكست كونت على عواهنها، بل إنه استلهم الروح الوضعية عند إضفاء الطابع العلمي على دراسة المجتمع من وجهة نظر محافظة على حد بعيد.

---

[*] يعتبر العالم الفرنسي اميل دركهايم Emile Durkheim (١٨٥٨ – ١٩١٧) من ألمع وأهم رواد علم الاجتماع والاثنولوجيا، وترجع أهمية منزلته العلمية الكبيرة هذه إلى ضخامة أثر النظريات التي قدمها في تطور مسيرة الفكر السوسيولوجي والانثولوجي في العالم بصورة عامة وأوربا وأمريكا بصورة خاصة، ويقترن أسم هذا المفكر بالعديد من الكتب التي ألفها ومنها كتاب "تقسيم العمل" والانتحار" وتأسيس "المجلة

ولقد حاول دركهايم أن يخلص الوضعية من الشوائب الفلسفية واليوتوبية التي اضفاها عليها كونت فأخذ منها بناء قوانين علمية تتحكم الظواهر الاجتماعية ورفضه للدين والميتافيزيقيا، ورفضه للفرد والسايكولوجيا، وهكذا نحى دوركهايم بالوضعية منحى علمياً، فبذل قصاري جهده لتحديد موضوع ومنهج علم الاجتماع فمن حيث الموضوع حدد خصائص الظاهرة الاجتماعية، ومن حيث المنهج ركز در كهايم على الموضوعية والعلمية في دراسة الظواهر الاجتماعية إلى درجة إنه ذهب إلى إننا نعتبرها "أشياء" خارجية منفصلة عن شعورنا الذاتي. [6.pp.85-86] .

إن من نقطة تنقية الوضعية من الشوائب عمد در كهايم إلى طرح موضوع سوسيولوجيا المعرفة الذي يرفض نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) في الفلسفة وقبول فكرة إن سوسيولوجيا المعرفة تعني دراسة المعرفة ومصادرها لدى الإنسان بالنظر إليه ككائن اجتماعي يستمد معرفته من بنية المجتمع والثقافة والتاريخ [7,pp.63] لذا يعد در كهايم من مؤسسي الاتجاه الواقعي في سوسيولوجيا المعرفة.

٣- تحديد المفاهيم والمصطلحات

٣-١- المعرفة:

تعرف المعرفة بأنها عبارة عن مجموعة من المعاني والتصورات والآراء والمعتقدات والحقائق التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به.

والمعرفة بهذا المعنى لا تقتصر على ظواهر من لون معين، وإنما تتناول جميع ما يحيط بالإنسان وكل ما يتصل به، فمن المعارف ما يتصل بتكوين الإنسان البيولوجي والنفسي، ومنها ما يتصل بعناصر بيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية [8,pp.18] ومفهوم المعرفة ليس مرادفاً لمفهوم العلم، فالمعرفة أوسع حدوداً ومدلولاً وأكثر شمولاً وامتداداً من العلم، والمعرفة في شمولها تتضمن معارف علمية ومعارف غير علمية، ولذا يمكن القول بأن كل علم معرفة وليست كل معرفة علماً. [8, pp.18]

٣-٢- نظرية المعرفة "الابيستمولوجيا"(*)

تعرف نظرية المعرفة: بأنها علاقة أحد جوانبها الذات العارفة، والجانب الآخر موضوع المعرفة الذي تتجه إليه الذات العارفة بصورة مباشرة وغير مباشرة، واتجاه الذات العارفة بصورة مباشرة إلى موضوع المعرفة يعني أن الذات تتصل بالموضوع اتصالاً تجريبياً مباشراً، وهذا النوع من المعرفة يسمى بالإدراك المباشر مثل معرفة الاشخاص والأشياء.

أما اتجاه الذات إلى الموضوع بصورة غير مباشرة يعني إن الذات تدرك قضية عن العالم وهذا النوع من المعرفة يسمى معرفة قضوية [9.pp.11-12] فنظرية المعرفة تتساءل عن إمكانية معرفة الذات للموضوع وإن هي أثبتت تلك الإمكانية تبحث من أدواتها ثم في حدودها ومدى صلاحيتها، إنها تبحث من طبيعة المعرفة ووسيلتها ثم في قيمتها، ووفق هذا التصور فإن نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) لم تحاول فهم الميكانيرم الفعلي الذي يخضع له إنتاج المعارف والمعرفة العلمية بصفة خاصة، وأخذت تتحدث عن عملية المعرفة كما تتوهمها هي، وأصبحت تقسم عناصر المعرفة إلى ذات

السوسيولوجية" التي ركزت على حضارات وثقافات الجماعات غير المتعلمة، ثم تأليف كتاب "الأشكال الأولية للحياة الدينية" وكتاب "قواعد المنهج في علم الاجتماع" وغيرها من البحوث السوسيولوجية والانتولوجية المنشورة في المجلات العالمية. [1, pp.102]

(*) الابستمولوجيا: كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما "episteme" وتعني معرفة و"logos" وتعني نظرية والابستمولوجيا فرع من فروع الفلسفة يهتم بطبيعة المعرفة الإنسانية وأنواعها وإمكانيتها ومصادرها ومجالها وحدودها. [9, pp.11]

عارفة (سواء اكانت وعياً فلسفياً أو علماً عادياً) ثم موضوع معروف، وهذا لا ينظر للكيفية التي تنتج بها المعارف ذاتها [10, pp-11-12] ومنها المعرفة السوسيولوجية.

٣-٣- سوسيولوجيا المعرفة

يعرف علم اجتماع المعرفة على أنه ذلك الفرع من علم الاجتماع الذي يدرس العلاقة بين المعرفة والإطار الاجتماعي [7,pp.77].

كما عرفته دائرة معارف العلوم الاجتماعية "بأنه فرع من علم الاجتماع يهتم بدراسة محددات مشاركة الإنسان في الحياة الاجتماعية، حيث تؤثر هذه المحددات من معرفته وفكرة وثقافته [11, pp.15-16].

ويعرفه كارل منهايم: يعتبر علم اجتماع المعرفة فرعاً من أحدث فروع علم الاجتماع يتوخى بوصفه نظرية تحليل العلاقة القائمة بين المعرفة والوجود، بوصفه منهجاً للبحث الاجتماعي- التاريخي يتعقب جذور الاشكال المختلفة التي حصلت عليها تلك العلاقة خلال مسيرة التطور العقلي الذي قطعته الانسانية [12, pp.390]

٤-من نظرية المعرفة (الابستمولوجيا) إلى سوسيولوجيا المعرفة

إذا كانت نظرية المعرفة "الابستمولوجيا" تقوم على العلاقة بين الذات والموضوع هذا يعني إن المفكرين قد اصبحوا منهمكين في المشكلات المتخصصة الدقيقة في ميدان المعرفة إلى حد إنهم أخذوا يفقدون بالتدرج اتصالهم بالمسائل ذات النطاق الاوسع فبدلاً من ان تسعى الفلسفة إلى إصدار أحكام لها دلالتها بشأن طبيعة الواقع، أو معنى التجربة البشرية نراها تكرس جهودها لإصدار أحكامها الخاصة [13, pp.198] إن مثل هذه النظرية التي تقوم عليها نظرية لمعرفة (الابستمولوجيا) في الفلسفة، دفعت الاجتماعين معالجة مشكلة نظرية المعرفة من زاوية اجتماعية، ويعبر المذهب السوسيولوجي في حقيقة الامر عن وجهة نظر النظرية الاجتماعية والتي تسمى "بالنزعة الاجتماعية" sociologism ، وهو اتجاه تتزعمه المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع خاصة اميل دركهايم الذي ذهب إلى أن المجتمع لا الفرد هو مصدر النظام وجميع المقولات المنطقية والمبادئ العقلية [7, pp.62] وفي هذا الصدد يقوم العالم "اميل برييز" في كتابة تاريخ الفلسفة لقد استطاع علم الاجتماع الدركهايمي ان يضع ويقدم حلولاً لمسائل من صميم اختصاص الفلسفة، وما يهمنا في هذا الصدد هو هذا التحويل للمشكلات الفلسفية الى مشكلات اجتماعية [4, pp.D] بحيث تمكن علم اجتماع المعرفة من عرض وتقديم نظرية تجريبية وتطبيقية لعلاقات المعرفة بالوضعية الاجتماعية دون طرح اية مشكلات ابستمولوجية خاصة بنظرية المعرفة التي تطرح المشكلات المرغوب فيها من قبل الفيلسوف او العارفة، في حين يتناول علم اجتماع المعرفة بالدراسة والتحليل للعلاقة بين الوضعيات الاجتماعية والمظاهر المتطابقة معها في صميم النظام الاجتماعي مع الاخذ بنظر الاعتبار تلك التقويمات الصادرة منها. [11, pp.417]

ولذلك نرى إن علم الاجتماع في مراحله المعاصرة، وفي كثير من مدارسه قد قطع كل صلة بينه وبين المسائل الفلسفية، متجهاً بكل طاقاته نحو المجتمع وما فيه من ظواهر تقع تحت المشاهدة والاحصاء والمقارنة والتفسير فنجده يدرس مختلف المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، كما يدرس حركة السكان والتصنيع ومستوى المعيشة ونظم الاسرة والزواج، ومظاهر الجريمة والانحراف، وما شابه من ظواهر تقع تحت المشاهدة، فضلاً عن محاولته لتطبيق نتائج دراساته هذه في شكل خدمات ورعاية اجتماعية. [14, pp.9]

٥-إسهامات اميل دركهايم في سوسيولوجيا المعرفة

٥-١الاصل الاجتماعي للدين

لعبت المدرسة الفرنسية في تاريخ الفكر الاجتماعي وبزعامة العالم اصيل دركهايم دوراً كبيراً في إثبات أثر العوامل الاجتماعية في اكتساب المعرفة ونشأة العلوم، ولهذا تظهر اسهامات العالم دركهايم واضحة المعالم في سوسيولوجيا المعرفة ففي كتابة عن "الصور الاولية للحياة الدينية" قدم دركهايم تحليلاً عن اشكال او صور الدين ومصادره وطبيعته وآثاره بنفس المنظور السوسيولوجي الذي التزم به من قبل وانتهى من تحليلاته الى ان الدين يعتبر شيئاً اجتماعياً بما يفيد او يسلم الى نتيجتين هامتين وهما، ان الافكار والممارسات الدينية تشيران الى وجود جماعة اجتماعية من ناحية، وان التجمع هو المصدر أو المنبع الأصلي والسبب النهائي لكل خبرة دينية، ان الدين في نظر دركهايم مجموعة من المعتقدات والممارسات في نسق يحقق لقداسة للاشياء المحرمة والمقدسة، كما ان هذه المعتقدات هي التي توحد بين الافراد والجماعات، وذلك بان تخلق مجتمعاً اخلاقياً يعد شرطاً اساسياً لنموه.

ان الممارسات الدينية تشير إلى جماعة اجتماعية، لذا فهي لا يمكن ان تشير إلى بيئة خارجية طبيعة، ولا إلى طبيعة فردية، بل تشير فقط إلى واقع أخلاقي للمجتمع، من هنا كان المجتمع أصل الدين والتصورات الدينية لأن مصدر موضوع الدين مستمد من الحياة الجمعية ولا شيء غيرها في اعتقاده، الحقيقة الدينية عند دركهايم هي حقيقة اجتماعية وجمعية لا تصدر إلّا عن ما هو جمعي، ولا تتحقق إلّا في مجتمع، كما أن الشعور الديني شعور جمعي وليس شعوراً فردياً، بلا ان الوظيفة الاساسية للدين هي خلق وتدعيم التضامن الاجتماعي ولذلك فلن يبقى الدين إلّا ببقاء المجتمع [15, pp.254-255] لذلك ان افكارنا وممارساتنا الدينية ترمز إلى الجماعة الاجتماعية، وهذا هو الذي يجعل التمييز بين ما هو مقدس وعلماني تمييزاً يتسم بالعمومية ويؤدي وظائف جوهرية في الحياة الاجتماعية بوجه عام.

ويشير المقدس في رأي دركهايم إلى كافة الأشياء التي يحددها الانسان ويعزلها عن غيرها، نظراً لطبيعتها الخاصة، وهي تتضمن المعتقدات الدينية والطقوس والمعبودات، بل هي تتسع لتشمل أي شيء اصطلح اجتماعياً على إنه يتطلب معالجة دينية خاصة، ويرى دركهايم إن دائرة الاشياء المقدسة لا يمكن ان تتحد مرة واحدة، لأنها تختلف في مداها اختلافاً يتوافق مع تنوع الديانات، ويكتسب المقدس أهميته من خلال تميزه عما هو علماني فالشيء المقدس هو ذلك الشيء الذي لا يمكن ان يمسه العلماني، لأن له حصانة خاصة وقد تختلف الاشياء المقدسة او العلمانية وفقاً للزمان والمكان، ولكن هذا التمييز يظل مع ذلك يفرض نفسه على سلوك الإنسان أو يجبره على إتباعه. [16, pp.178]

٥-٢ الأصل الاجتماعي لمقولات الفكر

٥-٢-١- تحديد مفهوم المقولة

قبل البدء بمعرفة الأصل الاجتماعي للمقولة لابد من معرفة ما المقولة؟ وماذا تعني في الفلسفة؟ وكيف فسر علم الاجتماع أصولها ومصادرها؟

يقصد بالمقولة "Category" اصطلاحاً في المنطق إحدى الصور الأساسية للفهم أو انماط التفكير الذي ينطوي عليه الحكم كالكلي والجزئي والموجب والسالب [4, pp.53] أما المقولة في الفلسفة فهي مجموع المبادئ الأساسية التي توجد في العقل الإنساني، والتي لا يستطيع الفكر بدونها أن يعمل، وقد عرفها الفيلسوف "كانط" بأنها مجموع التصورات العامة والرئيسية للوضع للفهم الخالص، وهي الصورة القبلية للمعرفة التي تمثل الوظائف الضرورية للفكر. [14,pp.14]

فمقولات الفكر هي التصورات او المبادئ الأساسية التي توجد في العقل الانساني والتي بمقتضاها تنتظم معارفنا وأفكارنا، فالمذهب العقلي تصور قبلية هذه المقولات يعني وجودها وجوداً فطرياً سابقاً على كل الوجود والمعرفة، فيما صورها المذهب الحدسي عند بيرجسون هذه المقولات على أنها من معطيات الفهم والوجدان او الحدسي [15, pp.256]

لقد رفض العالم دركهايم كل نزعة "قبلية" ونظر إلى الوقائع الاجتماعية على إنها أشياء، وهي أشياء موضوعية كما أنها أشياء اجتماعية، بمعنى إنها أشياء عارية عن كل استبطان او معنى ذاتي، كما انها أيضاً خاضعة للحتمية والوضعية والنسبية، شأنها في ذلك شأن الظواهر الطبيعية، ولعل دركهايم في هذه النزعة قد حاول ان يكون عالماً مثل غاليلو، كما حاول ان يكون فيلسوف مثل "كانط" او "هيجل" ولذلك اراد ان يصبح "ديكارت عام الاجتماع" [17,pp.158]

٥-٢-٢- أصل المقولات وأنواعها عند اميل دركهايم

ولقد تتبع "إميل دركهايم" الأصول البعيدة لمقولات الفكر، فوجد أنها آتية من الجماعة، كما انها مشبعة بعناصر اجتماعية وتصورات دينية، وفي هذا المعنى يقول دركهايم "ونحن اذا حللنا العقائد الدينية البدائية تحليلاً منهجياً، لوجدنا في طريقنا مقولات الفكر الرئيسية، ولقد ولدت من جوف الدين ولذلك فهي نتاج الفكر الديني [5, pp.204-205] فالفكر الديني هو، في نظر دركهايم، منطلق التجارب المعرفية برمتها، تبلورت في اطار هذا الفكر المفاهيم الاساسية التي لجأ إليها الانسان في المراحل التي تلت العصور الاولى للبشرية [18, pp.63] اما اهم هذه المقولات.

٥-٢-٢-١ الزمان

يرى دركهايم ان فكرة الزمان تتضمن مقولة مجردة يشترك فيها كل اعضاء الجماعة، أي أن "الزمن" ليس زمني الذي انظمه، أنه الزمن بوجه عام وبناء عليه فإن ذلك لابد أن يكون قد انبثق من التجربة الجماعية، وهذا يعني إن تقسيم الزمن إلى سنين وأسابيع وأيام يعود إلى التوزيع الدوري للطقوس العامة والشعائر والإجازات [19, pp.112]

٥-٢-٢-٢- المكان

إن ما يصح بالنسبة لمفهوم الزمان يصح ايظاً، في نظر دركهايم بالنسبة لمقولة المكان، فالمكان ايظاً ليس ذلك العنصر الموحد والذي لا حدود له، وتلمس المكان كوحدة يمكن تجزئتها هو ثمرة عملية حسية معقلنة، حيث أنه لابد من فواصل نابعة من تصورات جماعية معينة يُضبط ويحصر على أساسها الشمال والجنوب والشرق والغرب، واليمين واليسار، والأعلى والأسفل، فالمكان مفهوم جماعي الجوهر لا يوجد بحد ذاته بل يعود تحديد عناصره الأساسية إلى الحياة الجماعية وإلى التصورات الجماعية – لكن، من أين له هذه التقسيمات؟ فهو بحد ذاته، لا يعرف اليمين واليسار، والأسفل والأعلى، ويجيب دركهايم إن سبب كل ذلك يعود إلى أن شحنات عاطفية مختلفة ارتبطت بهذه التقسيمات الذهنية، تبنى عدد من الناس هذه الشحنات العاطفية فتوحدت في تصور معين وتكرس وجودها الاجتماعي، فالمكان مفهوم اجتماعي في جوهره وللفكر الديني دور أساسي في تكريسه على الشكل الذي تعرف، فلولا التصورات الجماعية لما نشأ مفهوم المكان ولولا الدين لما تبلورت هذه التصورات.

٥-٢-٢-٣ التصنيف

بعد تأكيد دركهايم على ارتباط مفهوم الزمان والمكان بالفكر الديني ينتقل إلى تأكيده على مفهوم التصنيف، ان ارتباط مفهوم الطبقات الاجتماعية بالفكر الديني، فأن لا امكانية لوجود مجتمع سوى بتوزيع عناصره الانسانية إلى مجموعات مختلفة، تخضع بدورها إلى التصنيف يفصلها عن بعضها، إن مفهوم المجتمع يفترض وعياً للفروقات الأساسية القائمة بين هذه المجموعات المختلفة [18, pp.63-64.].

٥-٢-٢-٤ السببية "العلية"

رفض دركهايم التصورات الفلسفية لفكرة السببية والعلية فلم يتفق مع العقليين في القول بوجود علاقة ضرورية وكلية وقبلية في الذهن بين العلة والمعلول أو السبب والنتيجة، كما لم يتفق مع التجريبيين في ردهم فكرة السببية إلى تداعي أو تواتر مؤكدة التجربة لتكون عادة ذهنية تصل ما بين العلة والمعلوم، وإنما ذهب إلى أن العلية أو السببية ترجع إلى

مصدر موضوعي (لا هو عقلي ولا هو تجريبي) اجتماعي، فالعلية فكرة من صنع العقل الجمعي يقدمها جاهزة للعقل الفردي ليرى من خلالها أو ليدرك ما بين الأشياء والظواهر من علاقات، ويرجع الأصل الاجتماعي لمقولة السببية عند دركهايم إلى فكرة "القوة الفاعلة" بمعنى إن هناك قوة موجودة هي المجتمع وما يتميز به من سلطة إلزامية تعلو سلطة الأفراد، ويرتد دركهايم بفكرة القوة التي هي أساس مقولة السببية في نظره– إلى أصل ديني روحي [15, pp.261].

٥-٢-٢-٥ العدد

لقد عالج دركهايم مقولة العدد في ضوء اللغات البدائية، فقد درسها في زاوية فكرة المجموع ومقولة الكلية Totalite، وليست فكرة المجموع، والكل عند دركهايم من خلق الفرد أو من صنعه، إذ إن الأنسان في رأيه ليس إلا جزءاً بسيطاً من علاقته بالكل أو المجموع الاجتماعي، بل إنه جزئي متناهي بالنسبة إلى الحقيقة الاجتماعية الكلية، وبالنظر إلى الواقع الاجتماعي المطلق.

فالمعنى الكلي ليس إذاً خاصاً بالفكر أو الظواهر الفردية، إذ أن فكرة الكلية تتجاوز عقل الفرد وشعوره، باعتباره فكرة متفوقة صدرت عن شعور الجماعة، وباعتبارها إيظاً فكرة متعالية انبثقت عن عقل متسام خلاقة، وهو ما تعني به العقل الجمعي.

ولا شك إن فكرة الكلية هي الصورة المجردة لفكرة المجتمع عند دركهايم، فالمجتمع في رأيه هو ذلك الكل الذي يحوي في طياته مجموع الأشياء، وهو أيضا ذلك النوع المتعالي الذي يشتمل على كل الأنواع، وتلك نظرة دركهايمية فلسفية، ترد المجموع العددي إلى مفهوم المجموع الكلي. [14, pp.66-67]

٦- الوظائف الاجتماعية للمعرفة عند العالم دركهايم

٦-١ الاتصال: حيث يقول دركهايم "إذا لم يتفق الناس على الافكار الاساسية الجوهرية في كل لحظة، وإذا لم يكن لديهم نفس المفهوم للزمان، والمكان، والعلية والعدد، فإن أي اتصال بين عقولهم يصبح مستحيلاً كما تستحيل حياتهم معاً.

٦-٢ الأتساق الأخلاقي والتناغم الفكري: إن المفهومات والمبادئ المشتركة هي محور الإنساق الاجتماعي، والاتفاق حول معايير وتوجيه السلوك وتضبط الفعل الاجتماعي، وتساعد أعضاء المجتمع على التكيف مع النظام الاجتماعي العام والنظم الاجتماعية الأساسية، كما أن قوام الشرعية والامتثال وتواصل الأجيال، تتم عبر عمليات التنشئة الاجتماعية والتربية التي يثقل خلالها كل جيل إلى الاجيال اللاحقة.

٦-٣ التصنيف والتكامل: ان تعقد المجتمع وتشعب علاقاته وتنوع انشطته، وتمايزت ابنيته الاجتماعية، وتعدد الادوار وتخصصها، اصبح المجتمع الحديث في حاجة إلى اتفاق عام حول ضرورة العمل المشترك في إطار معايير وقيم يحترمها الجميع فيتحقق للمجتمع حد أدنى من السلم والامن الاجتماعي اللذين لا غنى عنهما لاستقرار المجتمع

واستمراره، وإن توافر المعرفة والثقافة الاجتماعية الرئيسية ذلك الدليل العقلي لتصنيف طبقات المجتمع وفئاته وقواه، كما توفر معرفة الاهداف الثقافية والوسائل المشروعة لتحقيقها.

٦-٤ التنظيم: إن الاتفاق على اسلوب التفكير والمقولات العامة والمبادئ والمفهومات هو حجر الزاوية لوجود تنظيم اجتماعي مستقر يحترمه الجميع ويؤمنون بشرعيته وكفاءته، ومن ثم يخضعون للسلطة العامة عن اقتناع بأهليتها. [7, pp.66-67].

٧- الاستنتاجات

٧-١ تحتل المعرفة اهمية كبيرة من بناء حياة الانسان وتنمية المجتمعات الانسانية لذلك كانت من اكثر الموضوعات نشأ حلوها الجدل والاختلاف في تاريخ الانسانسة بشكل عام وفي علم الاجتماع بشكل خاص.

٧-٢ رفض علم الاجتماع بشكل عام وعلم الاجتماع المعرفة بشكل خاص نظرية المعرفة الفلسفية التي ترى ان فهم وتفسير المعرفة يعتمد على علاقة بين الذات والموضوع، او بين العارف والمعروف، أي ان نظرية المعرفة في الفلسفة كانت تأملاتها خارج اطار الظروف الموضوعية للواقع الاجتماعي لذا فانها لم تحاول فهم الميكانيزم الفعلي الذي يخضع له انتاج المعارف.

٧-٣ ان العالم دركهايم نحى بالوضعية منحى علمياً فحاول ان يخلص الوضعية من الشوائب الفلسفية واليوتوبية التي اضفاها عليها اوكست كونت، فاخذ دركهايم من الوضعية بناء القوانين العلمية التي تتحكم بالظواهر الاجتماعية ورفضه للدين وللميتافيزيقيا وللفرد السايكولوجيا وركز على المجتمع كمصدر للمعرفة.

٧-٤ استطاع اميل دركهايم في تنظريه لعلم الاجتماع المعرفة من تحويل المشكلات الفلسفية الى مشكلات اجتماعية حيث تمكن من تقديم نظرية تجريبة وتطبيقية لعلاقات المعرفة بالوضعية الاجتماعية (الواقع الاجتماعي).

٧-٥ رفض اميل دركهايم كل نزعه (قبلية) في مقولات الفكر ونظر الى الواقع الاجتماعي نظره موضوعية واعتقد ان كل المقولات كل الزمان والمكان والتصنيف والسببيه والعليه على انها اشياء وهي اشياء موضوعية وناتجاً اجتماعياً

٧-٦ حدد اميل دركهايم عدد من الوظائف لسوسولوجيا المعرفة ومنها الاتصال، والاتساق الاخلاقي والتناغم الفكري، والتصنيف والتكامل والتنظيم، ان جميع هذه الوظائف تجعل الامتثال للنظام وقواعد الضبط الاجتماعي مستمراً .

٨- المقترحات

٨-١ الدعوة الى بناء مفاهيم في سوسيولوجيا المعرفة على اساس مرجعية قرانية للتخلص من الهيمن الفكرية للحضارة الغربية وخاصة في ميدان علم الاجتماع.

٨-٢ عقد المؤتمرات والندوات العلمية والاكاديمية التي تهتم ببناء سوسيولوجيا المعرفة الخاصة بالمجتمعات العربية والانسانسة تستقي مادتها النظرية من طبيعة البنى الاجتماعية لهذه المجتمعات.

٨-٣ رفض القطيعة الابستمولوجية التي جاء بها علم اجتماع المعرفة الغربي مع الاديان السماوية او مع المعرفة الوحيانية التي تعود في منشأها الى عالم الغيب والعلم اللدني الالهي.

٨-٤ ضرورة تكوين رؤية سوسيولوجية جديدة في سوسيولوجيا المعرفة لبيان الى أي مدى يتحقق التراتبط والاندماج فيها مع ما يسمى بثقافة العولمة، وبين تلك التي تتعارض مع الواقع الاجتماعي للبلدان العربية والاسلامية.

المصادر

١. د. قيس النوري، د. عبد المنعم الحسني، النظريات الاجتماعية، الموصل، مطبعة جامعة الموصل، بلا سنة طبع.
٢. د. حسن شحاته سعفان، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.
٣. د. متعب مناف جاسم، تاريخ الفكر الاجتماعي، بغداد، المركز العلمي العراقي، ٢٠١٠.
٤. د. احمد زكي بدروي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، طبعه اولى، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧١.
٥. د.قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع الفرنسي، طبعة اولى، دار الكتب الجامعية، ١٩٧١.
٦. د. احمد زايد، علم الاجتماع النظريات الالكلاسيكية والنقدية، بلا سنة ومكان طبع.
٧. د. نهلة ابراهيم، علم الاجتماع المعرفة بين العلم والايديولوجيا، طبعة اولى، الحضري للطباعة، بلا سنة طبع.
٨. د. عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث الاجتماعي، الطبعة الثامنة، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٨٢.
٩. د. عصام زكريا جميل، اتجاهات معاصرة في نظرية المعرفة، طبعه الوى، عمان، دار المسيرة للنشر، ٢٠١٢.
١٠.عبد السلام بتعيد العالي، وسالم يفوت، درس الابيستيمولوجيا او نظرية المعرفة، طبعة ثانية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.
١١.طه نجم، علم اجتماع المعرفة، تقديم د. غريب سيد احمد، دار المعرفة الجامعية، بلا سنة طبع.
١٢.مانهايم، الايديولوجيا والطوبائية مقدمة في علم اجتماع المعرفة، ترجمة، د. عبد الجليل الطاهر، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٦٨.
١٣.هنترميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، ترجمة، د. فؤاد زكريا، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٩.
١٤.د. قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، الجزء الثاني، نظرية المعرفة، تقديم د. محمد ثابت الفندي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٦.
١٥.السيد عبد العاطي السيد، علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥.
١٦.نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ترجمة د. محمود عودة واخرون، الطبعة السابعة، القاهرة، درا المعارف، ١٩٨٢.
١٧.د. قباري محمد اسماعيل، علم الاجتماع والفلسفة، الجزء الاول، المنطق، الطبعة الثانية، بيروت، دار الطلبة العرب، ١٩٨٦.
١٨.د. فرديك معتوق، تطور علم الاجتماع المعرفة من خلال تسعة مؤلفات اساسية، طبعة اولى ، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٢.
١٩.د. مريم احمد عبد الحميد، أميل دركهايم، تقديم عاطف غيث، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦.